رحيقُ أحباري

عِشْ في الحياةِ كعابرٍ لا يرغبُ
بالمُكثِ فيها حيث منها نَعجَبُ

نبكي على عمرٍ يهرولُ لاهثًا
إن جاءَنا صبحٌ تلاهُ المغربُ

فلكم مضيتُ بها سنينًا وانقضت
منِّي السنونُ كأنَّها تتهرَّبُ

كنَّا شبابًا منذ أيامٍ مضت
ثمَّ انتهينا للمشيبِ ونغرُبُ

لم يبقَ من لذَّاتِها شيءٌ سوى
ذكرى عليها كم ننوحُ ونندبُ

هذا حديثٌ خذْهُ منِّي وانتبه
فأنا لقولِ الحقِّ دومًا أذهبُ

إيَّاكَ أنْ تأتي لقولي لاهيًا
كي لا تَخِيبَ كما يَخِيبُ الأخيبُ

من كان مثلي قد قضى لذَّاتِها
ما كان يومًا بالحقيقةِ يكذبُ

فاسمع لنُصحِي واعيًا واعملْ بِهِ
فأنا قضيتُ العمرَ فيها أرغبُ

ثمَّ انتهيتُ إلى حقيقةِ كونِها
دارًا مع الأيامِ تفنى تَخرَبُ

فتجنَّبِ الآثامَ كي لا تنتهي
بسعيرِ نارٍ أنتَ فيهِ مُعذَّبُ

وانصت لمن يشكو إليكَ همومَهُ
فإذا شكى أنتَ الحبيبُ الأقربُ

النَّاس تعشقُ كلَّ مهمومٍ بها
فانظر لهم بالعطفِ حتمًا تُرغَبُ

اصنع فِعَالَ الخيرِ دومًا وانتظر
من ربِّ هذا الكونِ أجرًا يُحسَبُ

وإذا رأيتَ النَّاسَ تقضي ليلَها
في اللَّهوِ فاعلم أنَّهم قد أذنبوا

فتَنَحَّ عنهم جانبًا يا صاحبي
واسلك طريقًا للهُدى تَتَقرَّبُ

إنَّ الذُّنُوبَ إذا وقعتَ ببئرِها
تُسقَى بماءٍ كالصَّديدِ وتَشرَبُ

واحذر لئيمًا إنْ أتاكَ مُصَاحِبًا
إنَّ اللئيمَ إذا تُصاحِبُ عَقرَبُ

يُعطيكَ عهدًا ثمَّ يَنْقُضُ عهدَهُ
وتراهُ كالحرباءِ لونًا يُقلَبُ

لو بات قِدرُكَ فوقَ نارٍ يصطلي
لأتى إليكَ مُهَروِلًا يَتَشَقلَبُ

أمَّا إذا جاءَتكَ ريحٌ وانطفت
ذاكَ اللَّئيمُ يروغُ منكَ ويهربُ

وإذا أتاكَ الدَّهرُ يُرسِلُ سَهمَهُ
الصَّبرُ بالمكتوبِ درعٌ يُطلَبُ

أَوقِد شموعَ الصَّبرِ حتَّى ينقضي
ليلُ النَّوائبِ والمصائبُ تذهبُ

واخفِ النَّعيمَ عن الحسودِ إذا أتى
عينُ الحسودِ بسهمِ غِلٍّ تَضرِبُ

أمَّا العدوُّ فكن حريصًا أن يرى
تاجَ النعيمِ لكي تراهُ يُعذَّبُ

يسري لهيبٌ يصطلي بفؤادِهِ
يبقى على جمرِ السُّهادِ يُقَلَّبُ

هذي النَّصائحُ كالشموسِ مكانُها
كَبِدُ السَّماءِ لكي يُضِيءَ الكوكبُ

فَأْنَسْ بها إنْ جاءَ ليلٌ مظلمٌ
النُّورُ في الظَّلماءِ حتمًا يُطلَبُ

وإذا قطفت زهورَ غصنِ قصيدتي
فاعلمْ بأنَّ رحيقَ زهري طيِّبُ

تهفو لهُ كلُّ الفراشاتِ التي
باتت لعطرِ أزاهري تتعقَّبُ

=====